



دراسات خاصة

سلسلة دراسات تصدر بصورة غير دورية عن المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة



بناء العلامة الوطنية:

إكسبو 2020 دبي نموذج لأدوات القوة الناعمة الإماراتية

محمد خلفان الصوافي



دراسات خاصة

المدير التنفيذي:
د. إبراهيم غالي

نائب المدير التنفيذي:
حسام إبراهيم

رئيس التحرير التنفيذي:
مصطفى ربيع

نائب رئيس التحرير:
إبراهيم الغيطاني

الهيئة العلمية:
علي صلاح
د. شادي عبدالوهاب
أحمد عاطف
د. إيهاب خليفة
هالة الحفناوي
يارا منصور
عبداللطيف حجازي
آية يحيى
جيداء أبو الفتوح

الإخراج الفني:
عبدالله خميس
عادل خطاش

العلاقات العامة:
رحاب مكرم
info@futureuae.com

مدير النشر والتسويق:
أمجد محمد جروين
marketing@futureuae.com

عن "دراسات خاصة"

سلسلة دراسات ، تصدر بصورة غير دورية عن "المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة"، وتركز الدراسات على الظواهر الصاعدة، والمؤشرات المركبة والأفكار غير التقليدية، والاتجاهات القادمة التي ترتبط بالعالم قيد التشكل منذ بداية عام 2020.

وتتناول "السلسلة" أبرز القضايا الصاعدة في المجالات الأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية، والظواهر كافة التي يمكن أن تساهم في تشكيل مستقبل التفاعلات الدولية والإقليمية.

*الآراء الواردة في الإصدار تعبر عن كتابها، ولا تعبر بالضرورة عن "دراسات خاصة" أو آراء مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة.

*حقوق النشر محفوظة ولا يجوز الاقتباس من مواد الإصدار من دون الإشارة إلى المصدر، كما لا يجوز إعادة نشر الدراسات دون اتفاق مسبق مع المركز.

بناء العلامة الوطنية:

إكسبو 2020 دبي نموذج لأدوات القوة الناعمة الإماراتية

محمد خلفان الصوافي
كاتب إماراتي

ملخص الدراسة:

القوة بمفهومها الشامل هي من أهم القضايا التي شغلت تفكير صانعي القرار في العالم على مر العصور، خاصة بعدما تغيرت أدوات التأثير في المجتمع الدولي، وثبت أن القوة الصلبة لم يعد مفعولها كبيراً، بل إن تداعياتها ونتائجها السلبية لا تضر العدو وإنما الذي يستخدمها أيضاً. وقد توسع هذا المفهوم الجديد للقوة لدرجة أن قوة الدولة العسكرية لم تُعد المصدر الوحيد للقوة أو الوسيلة الأضمن لتحقيق أهدافها الخارجية، كما كان في الماضي، بل أصبح ينظر إلى القوة الناعمة على أنها الأكثر أهمية.

وتقدم دولة الإمارات تجربة تنمية عربية وإقليمية صاعدة، وقوتها الناعمة تتنامى وتتوسع بتسارع على الصعيد الإقليمي بشكل لافت للجميع، حيث جمعت منظومة بناء القوة الناعمة لدولة الإمارات بين سهولة وضع الأهداف وتحديد الأدوات وترتيب الأولويات، وهناك العديد من العناصر التي تشكل محددات القوة الإماراتية "الناعمة" أبرزها، إنتاج الأفكار المستقبلية، ونشر ثقافة التسامح، واتباع نهج الإبهار، علاوة على قيادة التغيير، حيث تمتلك الإمارات قدرة عالية على التكيف مع المتغيرات الجديدة في العالم.

ويتوج إكسبو عدداً من الأحداث الأخرى التي تم تنظيمها في الإمارات خلال الفترة الماضية. وقد اجتمعت معاً لتفتح الطريق أمام رسم خريطة تنمية اقتصادية جديدة في الإمارات تعتمد على الأفكار الإبداعية والأعمال النوعية والمجالات الجديدة والمستحدثة مثل الذكاء الاصطناعي. وهكذا تثبت دولة الإمارات العربية المتحدة يوماً بعد يوم، أن استضافتها للفعاليات العالمية الكبيرة ليست طموحاً مؤقتاً. وأن هذا التوجه ليس مقصوراً على الجانب الاحتفالي والبروتوكولي لتلك الفعاليات، وإنما هو جزء من استراتيجية متكاملة تستخدم فيها الدولة كل ما يتاح لها حالياً ومستقبلاً من أدوات القوة الناعمة ومصادرها، وفق رؤية شاملة لبناء المستقبل.

بعد مرور أكثر من نصف المدة المتبقية لمعرض إكسبو 2020 دبي التي تنتهي في مارس 2021، فإن كل المؤشرات تؤكد صدقية حالة الانبهار وواقعية الصدمة الإيجابية التي شعر بها من شكوكا في قدرة دولة الإمارات على إحداث قيمة مضافة إلى النسخ السابقة لهذا المهرجان العالمي الضخم والمتعدد المجالات. وبين صدمة الافتتاح والرقم المسجل بعد مرور شهر من الافتتاح (أكثر من مليوني زائر)، يمكن القول إن هناك سمتين أساسيتين تنفرد بهما دولة الإمارات في استضافتها للفعاليات العالمية هما.

السمة الأولى: التميز النوعي لدولة الإمارات، بالإصرار على أن تكون استضافتها للفعاليات الدولية مختلفة جداً. ليس فقط من ناحية إبراز قدراتها وإمكانياتها الإبداعية، لكن أيضاً بالتميز في نوعية الموضوعات والقضايا التي تتضمنها الفعالية. وتجسدت هذه السمة في إكسبو عبر شعار التواصل بين العقول من أجل صناعة المستقبل، حيث تبدأ مرحلة جديدة من العمل الجماعي على مستوى العالم لمواجهة التحديات وبناء المستقبل عبر أفكار خلاقة ووسائل مبتكرة تحركها عقول متفتحة وطموحات نشطة⁽¹⁾.

السمة الثانية: مرتبطة بالصورة النمطية للسياسة الخارجية الإماراتية، التي نجحت في تأكيد وإبراز البعد الإنساني في كل تحركاتها ونشاطاتها، التنمية والاقتصادية والثقافية. فقد اتضح بما لا يدع مجالاً للشك خلال حفل الافتتاح التنوع الكبير للمشاركين في افتتاح الفعالية، في تعبير عملي على الاندماج والتكامل في التركيبة المجتمعية لدولة الإمارات من مقيمين ومواطنين. وهي سمة تتفاخر فيها دولة الإمارات باستضافتها أكثر من 200 جالية من مختلف الأعراق والأديان والجنسيات. ما يثبت قدرة وأهلية الدولة لأن تكون حاضنة إنسانية عالمية بالمطلق من دون تمييز أو قيود.

ومما لا شك فيه أن دولة الإمارات تقدم تجربة تنمية عربية وإقليمية صاعدة، وقوتها الناعمة تتنامى وتتوسع بتسارع على الصعيد الإقليمي بشكل لافت للجميع، حتى أنها صارت محل متابعة ومراقبة من الدول الكبرى ومكان ثقة وتقدير في تكليف بأدوار عالمية كما هي حال استضافتها للمؤتمر الدولي للمناخ العام المقبل COP28. فنيما يؤكد قادة الدولة السعي إلى تحويل الإمارات إلى واحدة من أفضل خمس دول في العالم، تبدأ فعلياً مرحلة جديدة من تاريخ قصتها التنموية باختراق مجالات كانت تعتبر حكرًا على الدول الكبرى⁽²⁾. ورغم كل هذا النجاح التنموي، يثير بعض المراقبين من حين إلى آخر تساؤلات حول جدية وفرص استمرارية ذلك النجاح. وما إذا كانت الغايات التنموية ستتحقق وتتواصل، أم أن بعض العقبات والتحديات التي تواجهها بالفعل ستكون سبباً في تعطيلها أو حتى إبطائها.

ولذا، من المهم تتبع وقراءة تلك المسيرة التنموية الإماراتية من منظور محدد، هو أدوات ومصادر القوة الناعمة التي تستند إليها دولة الإمارات العربية المتحدة في تلك المسيرة. والتي صارت بمرور الوقت تلعب دوراً جوهرياً وحاسماً في مسارات التنمية المستدامة والتقدم وازدهار الشعوب، خصوصاً على مستوى الدول المتقدمة والساعية فعلياً لرفاهة ورفعة شعوبها.

وسوف تركز هذه الدراسة على مكانة وأدوات القوة الناعمة لسياسة دولة الإمارات العربية المتحدة الخارجية. وتحاول مناقشة فرضية رئيسية، هي أن دولة الإمارات تعطي أولوية قصوى لمصادر وأبعاد وآليات القوة الناعمة، بهدف التقريب بين الشعوب في العالم. دون انتقاص من الاهتمام بالقوة الصلبة أو الخشنة المتطورة هي الأخرى في الإمارات. وتتخذ الدراسة من معرض إكسبو-2020 دبي مدخلاً لرصد وتحليل ملامح وأبعاد هذه القوة الناعمة الإماراتية باعتباره الحدث الأبرز الذي يتواكب مع نشر الدراسة.

لهذا الغرض، تلقي الدراسة الضوء على مجموعة من أدوات وأشكال القوة الناعمة التي استخدمتها دولة الإمارات على النطاق العالمي وليس في محيطها الإقليمي فقط. وبالأخص المهرجانات الضخمة كاستضافتها بطولة الأندية العالمية لأكثر من مرة، والمعارض العسكرية ومهرجانات التوفيق بين الأديان والأخوة الإنسانية،

كما تتعرض لعلاقة كل ذلك بخدمة الإنسانية كهدف استراتيجي نهائي لدولة الإمارات في مواجهة حالة التحارب والخلاف بين الدول والشعوب.

أولاً: الفاعليات الكبرى وبناء العلامة الوطنية

اكتشفت دولة الإمارات مبكراً أهمية الاعتماد على القوة الناعمة لتعزيز جاذبيتها وترسيخ مكانتها الإقليمية والدولية. ليس لأهداف نفعية ذاتية أو لفرض الهيمنة كما نرى ذلك من أغلب دول العالم التي لديها أجنادتها ومشروعاتها السياسية، وإنما لتحقيق الهدف الأسمى والأساسي لمنظمة الأمم المتحدة، وهو التعايش السلمي والتعاون بين البشر لمصلحة الجميع. ونجحت دولة الإمارات، بواقعية وعبر السلوك العملي، في إقناع الرأي العام العالمي بأن علاقاتها الخارجية وتوجهاتها الإيجابية والتنمية تجاه شعوب العالم ليست لأهداف سياسية، وإنما نتيجة قناعات راسخة غرسها المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس دولة الاتحاد، بجوهرية وألوية المنطلقات "الإنسانية" باعتبارها المحرك الأساس في السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة، تختلف فيها عن النمط السائد من المساعدات الدولية، والتي كثيراً ما مثلت أداة مهمة لتحقيق أهداف سياسية وأيديولوجية خاصة خلال فترة الحرب الباردة.

وبتوافق المنطلقات الإنسانية مع التطلعات الوطنية للدولة، أصبحت مصادر وأدوات القوة الناعمة تعمل وتؤتي مفاعيلها في سياسات دولة الإمارات بشكل مزدوج. فهي من ناحية تساعد على الاقتراب من الغاية المرجوة للعمران البشري في الأرض كما حدث في الصومال والبوسنة والهرسك، ومن ناحية ثانية تصب في بناء "سمعة وطنية" رفيعة المستوى للدولة، وتسهم بإيجابية في تشكيل صورة متميزة وتشكيل "إدراك" إيجابي وواقعي عنها لدى الرأي العام العالمي.

وفي سياق بناء "السمعة" الوطنية، يوجد ما يسمى "العلامة" الوطنية "Nation Brand"⁽³⁾، والتي تلعب دوراً جوهرياً في رسم صورة ذهنية عنها تخدم أهدافها ومصالحها العليا. والعلاقة بين العلامة الوطنية للدولة وقوتها الناعمة، علاقة متداخلة قوامها التأثير والتأثر المتبادلان. ومن بين أشكال متعددة ومصادر متنوعة للقوة الناعمة، تعد العلامة الوطنية من أهم وأقدم هذه المصادر. ولم ينس العالم السمعة التي خلقتها الولايات المتحدة لنفسها ونشرتها في أنحاء العالم، وكيف باستخدام السينما خصوصاً. وركزت في مضمونها على أنها الدولة "الحلم" وأن الإنسان الأمريكي هو "العلامة" المميزة والمسجلة باسم الولايات المتحدة الأمريكية. باعتباره ليس كباقي البشر وإنما هو بطبيعته "خارق" وقادر على تحقيق أهدافه وإن وصلت صعوبتها حد الاستحالة. سواء بنموذج "راعي البقر" في الخمسينيات والستينيات، أو نموذج البطل الرياضي مثل "روكي" في الثمانينيات والتسعينيات.

صحيح أن دولة الإمارات لم تبدأ بناء علامتها الوطنية من السينما والفن، إلا أن الاهتمام بالقوة الناعمة على الشاشة المرئية لم يكن بعيداً عن رؤية ومدركات الدولة. سواء بالاتجاه نحو إقامة الفعاليات السينمائية الكبيرة، مثل مهرجان دبي السينمائي. أو بالاتجاه إلى الإنتاج السينمائي نفسه وتطوير صناعة السينما والعمل على رفع مستوى الوعي العام بضرورتها كنافذة مجتمعية للتفاعل مع الخارج تعارفاً وتعريفياً. وهو ما بدأت دولة الإمارات في الالتفات إليه مؤخراً، كجزء من الانفتاح على العالم⁽⁴⁾.

وبشكل عام، توصلت بعض الدراسات إلى خمسة أبعاد أساسية مميزة للرمز أو العلامة الوطنية المميزة لشخصية الدولة وطابعها العام. وهذه الأبعاد هي القيادة، والتنافسية، والتطور، والتقاليد، والسلمية⁽⁵⁾.

وبعد انتشار نظرية القوى الناعمة لجوزيف ناي، تغيرت قواعد التحرك السياسي للدول لتتماشى مع ترسخ القناعة بصعوبة وقيود التصادم المسلح لتحقيق أهداف السياسة الخارجية، وأن معظم المشكلات والاختلافات أياً

كانت يمكن تسويتها سلمياً عن طريق المفاوضات والمساومات. وانتشر هذا الفهم لدى أغلب دول العالم نتيجة لحجم ونوعية الأسلحة التي يمكن أن يترد تأثيرها على الدول نفسها التي تمتلكها أو تستخدمها. وبالتالي تغيرت وظيفة الدبلوماسية للسياسة الخارجية لتواكب هذا الفكر الجديد في أغلب دول العالم. وربما الحاجة أكبر لإحداث هذا التغيير في منطقة الشرق الأوسط⁽⁶⁾. كونها المنطقة الأكثر احتقاناً بسبب وجود فاعلين عسكريين من غير الدول، مثل الميليشيات والتنظيمات المتطرفة، ويتم توظيفهم لحساب أو بواسطة دول محددة.

ويمكن النظر إلى حركة دولة الإمارات خارجياً على ثلاثة مستويات، استطاعت أن تجمع بينها بطريقة متوازنة ومتشابكة. المستوى الأول هو الاستراتيجي، الذي يُعنى بحماية الدولة من المساس بأمنها واستقرارها. وتلك الحماية هي أساس العملية التنموية. في المستوى الثاني، يكون التركيز على النهوض الاقتصادي الذي يتواءم مع مرحلة ما بعد النفط. من خلال زيادة الاستثمارات في مختلف مجالات الاقتصاد غير النفطي، خصوصاً الجديدة منها والمستحدثة في العالم. مثل الذكاء الاصطناعي. وكذلك ما يمكن تسميته "الاقتصاد الجماهيري" الذي يتضمن أنماطاً جديدة من الاستثمار في القطاع الاستهلاكي سواء السلعي أو الخدمي، خصوصاً الخدمات والأنشطة الترفيهية التي يبدو أنها الأكثر استحواداً على اهتمام الشعوب في الألفية الثالثة. أما المستوى الثالث، فيركز على القضايا الإنسانية، خصوصاً ذات الطابع المعولم، أي التي تتصل بنطاق العالم ككل وتغطي مساحة وشعوب الكرة الأرضية في العموم. ويشمل ذلك القضايا الخلافية في العقيدة والسماح بممارسة الطقوس والتعاليم الدينية والعقائدية، ومعالجة الأزمات المهددة للاستقرار والأمن الإقليمي مثل القضية الفلسطينية الإسرائيلية.

وأهم تلك التقسيمات الثلاثة التي بدأت تتطبع بها الدبلوماسية الناعمة الإماراتية، هي التركيز في الاقتصاد غير النفطي على استضافة الفعاليات والأحداث الدولية المهمة. سواء المهرجانات الفنية والثقافية والسياحية الضخمة، أو المباريات الرياضية الدولية ذات الشعبية الواسعة. وأيضاً المؤتمرات المعنية بالقضايا الإنسانية العالمية مثل تغير المناخ والتصحر وغيرها.

إن التصدي لهذه القضايا يسهم في تكوين شبكة كثيفة ومتنامية من الروابط بين الدولة وشعوب العالم. خاصة في ظل وجود وسائل مساعدة على الانتشار مثل وسائل التواصل الاجتماعي التي أزال كل الفواصل بين الدول، بما فيها التعارض أو التباعد في السياسات. من هنا ينعكس التحرك الإماراتي على هذا المستوى في ترشيد الأفكار الحادة وتقليص الأيديولوجيات غير الواقعية، وإفساح المجال أمام الاقتصاد والتنمية والإنجازات الفعلية التي صارت المؤثر الأول في توجهات الرأي العام العالمي. وتشير ظاهرة تنظيم الأحداث الكبرى إلى التأكيد على أهميتها ضمن الأدوات المساعدة في التحركات الدبلوماسية للدولة وتسويق مكانتها العالمية بجانب الدبلوماسية الرسمية بما يضاعف من قدرتها على المشاركة في حل الأزمات من خلال إلهام الشعوب بما تقوم به من مبادرات وقصص نجاح⁽⁷⁾.

تتكامل الدبلوماسية الإماراتية اليوم بين كل الجهات الرسمية وحتى الشعبية لتشكّل خطوات قوة ناعمة استراتيجية، تفاوت بعضها بين قصيرة المدى مثل إكسبو 2020 دبي مدتها ستة أشهر لكن تأثيرها ممتد بعده، وبعضها وقتية مثل الفعاليات الرياضية مثل كأس العالم للأندية، لكنها تترك أثراً لدى شعوب العالم في مختلف القارات كونها رياضة شعبية والأندية تمثل قارات العالم المختلفة، وبعض تلك الفعاليات الضخمة مستمرة وممتدة مثل الفعاليات الثقافية والدراسة والوظائف.

ثانياً: أهداف الإمارات من القوة الناعمة

جمعت منظومة بناء القوة الناعمة لدولة الإمارات بين سهولة وضع الأهداف وتحديد الأدوات وترتيب الأولويات، وصعوبة ترجمة كل ذلك وممارسته على أرض الواقع. وذلك تحت وطأة الفهم التقليدي لمنطقة الشرق الأوسط لدى الرأي العام العالمي، فهي جزء من هذا الفهم رغم اختلافها الكبير عن باقي الدول فيه⁽⁸⁾، حيث بنت

نفسها وفق معايير تخاطب الإنسانية والمستقبل ومع كل فترة تجدد نفسها لتواكب التحولات العالمية. وفي النقاط التالية استعراض لبعض العناصر التي تشكل محددات القوة الإماراتية (الناعمة). وتتمثل أبرز تلك المحددات في:

1- إنتاج الأفكار المستقبلية:

مهم جداً هذا المتغير في التأثير على المجتمعات العربية، فهو يمس شريحة كبيرة من المجتمع هم الشباب، أي الجيل الأكثر تعليماً وتفكيراً ونقداً وتساؤلاً. ما يتوافق تماماً مع الطبيعة المنفتحة والمنطلقة للأفكار الجديدة والطروحات المبتكرة، التي تقع "خارج الصندوق".

وإذ يمثل الشباب الغالبية العديدة في سكان دول المنطقة، فإن الاهتمام بأفكار وطموحات المستقبل يمثل أرضية مهمة لدعم وتأمين النجاح الدبلوماسي الإماراتي في المدى المتوسط. فضلاً عما لذلك من تداعيات إيجابية مهمة في اتجاه لفت انتباه الرأي العام العالمي إلى منطقة الشرق الأوسط، وفتح المجال أمام تغيير الإدراك التقليدي للعالم إلى هذه المنطقة⁽⁹⁾.

لذا كان الاهتمام الأكبر هنا حول الذكاء الاصطناعي وغزو الفضاء، حيث وطنت الإمارات هذه الأفكار وعملت على إبراز أن مُنطلقها من الإمارات، فهذه الأفكار هي اليوم جزء أساسي من أدوات التأثير الذي تستخدمه الدول في العالم، لذا تحولت الإمارات إلى وجهة مفضلة لطلبات الإقامة الدائمة من مختلف الجنسيات. وصارت عملية "توليد الأفكار" قوة جذب جبارة نجحت في استقطاب العقول العالمية اللامعة في العالم، واليوم هذه العقول جزء من القوة الناعمة الإماراتية، إما بالإقامة الفعلية في الإمارات أو عبر تمثيلها في المحافل الدولية العلمية⁽¹⁰⁾.

وقد أضاف هذا العنصر كثيراً إلى الثقل الاستراتيجي للإمارات، مقارنة بالعديد من الدول، خاصة أنه أحد سمات المجتمعات العالمية ويعكس النظرة المستقبلية للدول.

2- نشر ثقافة التسامح:

حرصت دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال إكسبو 2020 على إبراز فكرة احتواء مختلف جاليات العالم من خلال إشراكهم في الافتتاح، وفي تنظيم الفعاليات والتطوع فيها. على الرغم من أن هذا الأمر يتسبب أحياناً في توجيه انتقادات، فإن استحضار تكوين مجتمع الإمارات على مدى تاريخه، وتطور تشكيل مواقفه الإنسانية، يكشف الرسالة عميقة المغزى التي تشير إلى دور هذه الجاليات في بناء قصة نجاح دولة الإمارات.

وعلى مسار مواز، تُبين مشاركة جميع دول العالم بما فيها الدول المتصارعة - خاصة في منطقة الشرق الأوسط -، الدور الذي تقوم به دولة الإمارات في تقريب وجهات النظر حول الخلافات السياسية. وتنعكس في النهاية قوة دولة الإمارات وقدرتها على إسقاط تجربتها التنموية والتفاعلية مع العالم ثقافياً وإنسانياً، على الجوانب السياسية في المنطقة. ما يؤدي إلى تقليل الاختلافات من أجل التركيز على التحديات الجديدة⁽¹¹⁾.

3- حالة الإبهار:

أصبحت القدرة على التفوق في إحداث حالة من الإبهار في تنظيم الفعاليات وفي نوعية الموضوعات والاهتمامات المطروحة فيها، محل منافسة شديدة بين الدول، لأنها مجال للإقناع والتأثير وبناء النموذج الوطني في مخيلة الشعوب الأخرى. وربما لا يزال البعض يتذكر البطولة الشتوية في روسيا "سوتشي- 2014" والتي قدر عدد مشاهديها بـ 3 مليارات شخص في مختلف أنحاء العالم⁽¹²⁾. ثم تكرر الأمر ثانية في عام 2018 عندما نظمت روسيا كأس العالم لكرة القدم⁽¹³⁾. وحينها أثبتت موسكو أن الانتعاش من شأن الروس وضرب "النموذج" السوفييتي الذي قامت به السينما الأمريكية، قد تغير على الأقل على المستوى الشعبي.

ومن شأن إكسبو 2020- دبي أن يؤكد تحول الإمارات إلى نموذج للدولة "المهمة" في المنطقة والعالم. وذلك على نحو أفضل وأقوى مما كان مع روسيا التي كانت تعاني من تشويه الصورة وتواجه حرباً نفسية وإعلامية بأدوات ناعمة متعددة.

تقع الإمارات في منطقة يضعها العالم في قالب نمطي واحد، وما تقدمه الإمارات هو تأكيد قدرة الدول العربية على الاضطلاع بخطوات ضخمة وتحقيق إنجازات كبرى، على مستوى غزو الفضاء والوصول إلى المريخ. وهو ما ألهم غيرها من الدول العربية، فبدأت تفكر في عدم استحالة وجدوى مثل هذه المشروعات الكبرى والنقلات النوعية، إذ تخلق انتماءات وطنية حقيقية لدى المواطن في أي دولة. وبالفعل بدأ صدى النموذج الإماراتي يتردد في فضاء المنطقة، فبادرت دول أخرى منها إلى طلب استضافة نسخ قادمة من "إكسبو". وقد حدث الأمر نفسه في فعاليات كبرى أخرى، مثل معارض الأسلحة ومعارض الطائرات والفورمولا 1. وكلها تطورات تؤكد قدر "الإلهام" في النموذج الإماراتي، وأن النجاح والازدهار وتعاضم قوة الدولة يرتبط بقدراتها الشاملة وأدوات قوتها الناعمة وأدائها السياسي، أكثر من القوة المادية أو حجم الدولة⁽¹⁴⁾.

4- قيادة التغيير:

تمتلك الدول التي لديها قدرة على التكيف مع المتغيرات الجديدة في العالم مرونة وقدرة على المناورة، من خلال المرور بتحديات وأزمات متنوعة. وقد تعرضت دولة الإمارات إلى أكثر من أزمة اقتصادية ولكن مرونة السياسات الاقتصادية والذهنية الاستراتيجية القابلة للتكيف مع المعطيات الجديدة، كانت هي المتخذ.

مع أن توقعات المراقبين في كل مرة كانت تشير إلى انتهاء الدولة النموذج. ومن أبرز التحديات التي واجهتها الإمارات مع بقية دول المنطقة، ما عرف بـ "الربيع العربي" فقد كانت دولة الإمارات إحدى الدول المستهدفة، ولكن رؤية القيادة ومرونتها منحتها قدرة استثنائية على تجاوز ذلك التحدي والتغلب على من يقف وراءه وتحقيق نجاحات جعلتها تحافظ على قيادة التغيير في المنطقة⁽¹⁵⁾.

في ظل حالة الاحتجاجات التي تفشت في الشرق الأوسط وإفريقيا بسبب تركيز القيادات على الشعارات والدعاية وعدم إدراك حجم التغيير في ثورة المعلومات وتركيز الشعوب على الأداء الفعلي والإنجازات لا الشعارات، كانت دولة الإمارات تقدم النموذج الناجح، بدءاً من استضافة بابا الفاتيكان (فرانسيس) ومروراً بـ معاهدة الأخوة الإنسانية في 2018، وصولاً إلى إرسال أول مسبار عربي إلى المريخ في 2020.

وكحالة كل المبادرات والمشروعات الإماراتية الكبرى التي تقع ضمن إقليم الصورة النمطية عنه أنه حاضنة للفشل والتطرف، شكك البعض في قدرة الإمارات على النجاح، فضلاً عن التميز، رغم سابق فشل توقعات مشابهة في الماضي، إلا أن رؤية الإمارات الطموحة في تحقيق أهدافها التنموية بأساليب مبتكرة ومتنوعة، ليست ظاهرة جديدة ولا نتاج صدفة بقدر ما أنها نهج استراتيجي اتبعته دولة الإمارات، قوامه التنوع في مصادر الدخل والشمول في أدوات الحركة وأساليبها واتخاذ القيم العالمية والتفاعل بين الشعوب مدخلاً لنجاح السياسات وتحقيق الأهداف الأبعد مدى والأكثر عمقاً وتأثيراً.

ثالثاً: إكسبو نموذج لأدوات القوة الإماراتية الناعمة

القوة بمفهومها الشامل هي من أهم القضايا التي شغلت تفكير صانعي القرار في العالم على مر العصور، خاصة بعدما تغيرت أدوات التأثير في المجتمع الدولي، وثبت أن القوة الصلبة لم يعد مفعولها كبيراً، بل إن تداعياتها ونتائجها السلبية لا تضر العدو وإنما الذي يستخدمها أيضاً. فالقدرة على التأثير في شعب معين نسبياً وخلق مؤيدين في دولة خصم، مؤشر إلى نجاح السياسة الخارجية للدولة وقدرة أجهزتها على حماية مصالحها العليا وتعظيم صورتها وبالتالي تحقيق أهدافها.

وإذ ارتبطت القوة في تكويناتها التقليدية بحماية مكتسبات الدولة وإنجازاتها الحضارية والتوسع في التأثير ومراكمة النفوذ، فقد تجسد ذلك الارتباط في تنافس الدول الكبرى في العالم على أعداد الجيوش وكميات الأسلحة. وفي المقابل، بدأ الاهتمام بالقوة الناعمة باعتبارها وسيلة لحفظ مصالح الدول الصغيرة والنامية، إلى أن ظهرت العولمة التي أعادت تعريف الانتماءات البشرية والقضايا. ما دعا الحكومات إلى صياغة أساليب القوة بما يمكنها من حماية نفسها. لذا ركزت كل دولة بما لديها من أدوات جذب ومقومات التأثير⁽¹⁶⁾. فاستمرت الولايات المتحدة في اتباع سياسة "أرض الأحلام" من خلال المحافظة على تفوقها العلمي. وفي الهند، انتشرت منطقة صناعة السينما "بوليوود" في العالم من خلال الاهتمام بالقضايا الجديدة. أما تايلاند فاهتمت بالسياحة الترفيهية والدينية. واشتهرت دولة قطر بقوتها الناعمة في مجال الإعلام، عبر شبكة قنوات الجزيرة خصوصاً. وتعتبر تركيا من أكثر الدول التي استخدمت هذه القوة ووظفتها في خدمة أهدافها وغاياتها السياسية والاقتصادية، خاصة في الفترة الأولى من حكم حزب العدالة والتنمية عام 2002 بعد تطبيق نظرية "صفر مشاكل". حيث أعادت تعريف سياستها الخارجية وأعطتها أبعاداً جديدة من خلال كسر الأطر التقليدية لها وتوظيف مجموعة متنوعة ومختلفة من الأدوات.

توسع هذا المفهوم الجديد للقوة لدرجة أن قوة الدولة العسكرية لم تعد المصدر الوحيد للقوة أو الوسيلة الأضمن لتحقيق أهدافها الخارجية كما كان في الماضي، بل أصبح ينظر إلى القوة الناعمة بأنها الأكثر أهمية في التأثير وإقناع شعب دولة معينة تستهدفها السياسة الخارجية للدول، وهذا ما يتطلب عاملين وفق فهمنا لما تفعله دولة الإمارات، وهما: العامل الأول: شرعية الإنجازات، وربما ظهرت أهمية هذا العامل أكثر بعد فترة ما كان يعرف بـ"الربيع العربي" على اعتبار أن القضية الأساسية للشعوب العربية هو إيجاد حقائق على الأرض قابلة لقياسها ورؤيتها بدلاً من الاعتماد على شرعية الشعارات السياسية. بل إن تأييد الرأي العام الغربي لثورات الربيع العربي جاء تحت تأثير حالة التخلف العربي. وقد أثبتت الدول العربية التي تمتلك رصيماً من الشرعية الحقيقية أنها عصية على التأثير بأفكار الربيع العربي. بل إن القوة الناعمة لبعضها مثل الإمارات تحديداً، ساعدت كثيراً في حماية المنطقة العربية من ذلك الربيع.

العامل الثاني: استخدام نظرية الصدمة الإيجابية في أي عمل تقوم به. وهنا يتضح المقصود بالإبهار في تنظيم الفعاليات، بتغيير الصورة النمطية المترسخة في ذهن الرأي العام العالمي من خلال ما ينشر في وسائل الإعلام الغربية. فبعد أن نجحت في أن تكون أول دولة في المنطقة تستضيف البابا فرانسيس لتوقيع وثيقة الأخوة الإنسانية بين أكبر ديانيتين في العالم الإسلام والمسيحية، وهو ما يمس شريحة كبيرة في العالم، أبهرت العالم بأن تكون الدولة العربية الأولى التي تطلق صاروخاً فضائياً يستكشف المريخ. واليوم هي تستضيف فعالية عالمية ارتبط اسمها بالعالم المتقدم وجمعت كل تخصصات شرائح المجتمع. فإكسبو منصة اقتصادية كما هو معروف، ولكن في الإمارات جمع اكسبو الاقتصاد مع الثقافة والفن وصناعة المستقبل.

مع تعزيز الإمارات استخدام أدوات القوة الناعمة الخاصة بها بدءاً من المساعدات الإنسانية، ومروراً بغزو الفضاء والمهرجانات، وصولاً اليوم إلى استضافة إكسبو، يتعاظم دورها في التأثير في القضايا والأزمات وبذلك تؤكد نجاح استراتيجيتها في تكوين قوتها وأن تصبح قوة إقليمية ذات تأثير عالمي. وإذا كان في الماضي تعمل الهيئات الدولية المتخصصة على إقناع الدول باستضافة الأحداث الكبيرة، فتتذرع أحياناً بالطقس وأحياناً بالنسق القيمي والخصوصية الثقافية، ففي وقتنا الحاضر هناك منافسة شرسة وبرزت منافسة كبيرة بين الدول على جذب انظار العالم. ووسط هذه المنافسة التي صارت شرسة، نجحت الإمارات في استضافة إكسبو بالتصويت من دول العالم، ثم ها هي 191 دولة تشارك فيه، وهو مؤشر واضح وتجسيد عملي لمكانة دولة الإمارات في العالم.

يفسر البعض اهتمام الإمارات بتنظيم المهرجانات والفعاليات الضخمة، استناداً إلى الوفرة المالية للدولة. لكن إذا انطبق ذلك على فعاليات معينة وفي مرحلة معينة من تاريخها، فإنه لا ينطبق على كل المشروعات لأن

هناك رؤية وخطة عمل مرسومة تسير عليها الدولة. كما يفسر البعض هذا التوجه بالرغبة في زعامة إقليمية أو الارتباط بشخصية مسؤول أو صاحب قرار. ولكن في ظل استمرارية التوجه لأكثر من خمسين عاماً، المؤكد أن الأمر ليس مجرد استغلال لوفرة مالية، ولا يتوقف على قائد معين في مرحلة معينة، وإنما هو استراتيجية دولة وشخصية شعب.

ونظرة بسيطة على ما واجهته الإمارات من أزمات، تؤكد أن هناك إدارة ناجحة للأحداث الكبرى. فالأمر هنا يتعدى الوفرة المالية إلى فهم أدوات لعبة السياسة الدولية. لهذا لا يمكن النظر إلى القدرة على تنظيم المهرجانات الضخمة من دون دبلوماسية نشطة وفعالة وسياسة رشيدة، وهما مرتبطان مباشرة بالمصداقية أمام العالم⁽¹⁷⁾.

رابعاً: من القوة الناعمة إلى الدور العالمي

اكتشفت دولة الإمارات أهمية الاعتماد على تنظيم الفعاليات الدولية لزيادة جاذبيتها وتعزيز مكانتها الإقليمية والدولية، فهي تحاول إقناع دوائر صنع القرار الدولي أن مشروعها يقوم على الاستقرار والأمن والجميع يتشارك في هذه النظرة الاستراتيجية، وأن ما تفعله هو قناعة راسخة منذ تأسيسها في العام 1971⁽¹⁸⁾، وليس مجرد صيغة ترويجية لمشروع يريد تصدر المشهد الإعلامي العربي على الأقل، لأن ما يحدث مستمر لمدة نصف قرن مضى وتخطط لأن يستمر لنصف قرن آخر وهي تستند إلى قيمها السياسية السابق ذكرها والقائمة على أبعاد إنسانية تنموية تختلف عما تسعى إليه باقي الدول في الإقليم وحتى عن دول العالم وهي لها نموذجها الخاص القائم على محاولة قيادة التغيير لصورة المنطقة ليس لأن تقنع الآخرين بالحقاق بها ولكن لتأكيد أن أبناء هذه المنطقة لا يقلون كفاءة عن شعوب أخرى في العالم إذا ما توفرت لهم البيئة المناسبة.

وتنطلق القوة الناعمة الإماراتية من أساس قصتها التنموية الناجحة والتي استطاعت أن تبهر العالم بأنها مختلفة ولديها خصوصيتها وبالتالي وظفت تلك القصة كعامل جذب وترغيب في تكوين علاقات مع الدول الأخرى وفي استضافة الفعاليات الكبرى التي بدأت تجد في الإمارات المكان الأنسب لها فمتنت علاقاتها مع جميع دول العالم بمختلف أدوات القوى الناعمة بعضها بالمساعدات التنموية وبعضها بالاستثمارات وأخرى من خلال الدعوة للمشاركة في تلك الفعاليات، فصارت الإمارات بمنزلة مركز التقاء الغرب والشرق.

اليوم يمكن الملاحظة أن دولة الإمارات مزدحمة بجدول استضافات للفعاليات الدولية فقد تم اختيارها لعقد المؤتمر الدولي للمناخ العام المقبل COP28، كما يمكن الملاحظة أنها تعمل ضمن الأطر الدولية أي أنها تعمل بما يخدم برامج الأمم المتحدة على أساس أنها المظلة الأشمل لكل القضايا الإنسانية في العالم وتؤكد أن دورها قائم لدعم المنظمة العالمية. وهي بذلك تستهدف النهوض التنموي العالمي من خلال تقليل حجم الاختلافات بين المجتمعات لخلق الاستقرار والأمن باعتبارهما عاملان مهمان في البناء والتنمية. كما تهدف إلى الاستحواذ على المزيد من الثقة الدولية من أجل صياغة دورها المحوري الإقليمي والدولي لخدمة الإنسانية وتحقيق أهدافها الاقتصادية والتنموية⁽¹⁹⁾.

وقد أدت هذه الثقة إلى تزايد دور الإمارات في الانخراط في المسؤوليات الدولية، سواءً برغبة منها أو من خلال الاستعانة بها من الدول الكبرى نتيجة للمكانة والاحترام اللذين تحظى بهما، فغير المساعدات الإنسانية الدولية هناك أدوار وساطة في عدد من النزاعات السياسية في العالم منها الوساطة بين إثيوبيا وأريتريا بعد أكثر من ثلاثة عقود من الحرب وهناك أيضاً دورها الأساسي في المشاركة في الحرب ضد الإرهاب والتطرف في العالم ولا يمكن نسيان دورها الجديد في مجال دعم الدور الدولي في المناخ من خلال قمة كوب 27، ومثل هذه المواقف تعزز من مكانتها الدولية ولكن باستخدام القوة الناعمة⁽²⁰⁾. اليوم هي (الإمارات) تقود الجهود الدولية في مجالات تخفيف التوتر والاحتقان بل تعتبر المساهم الأكبر في المساعدات الدولية.

بتركيز بسيط وموضوعي نجد أن الإمارات تطرح تصوراً هذه الأيام حول ما هو النموذج الأفضل للتعايش والاستقرار الدولي من دون أن تعيش في قالب التقليدي للأدوار الكبيرة للدول والقائمة على المساحة والكثافة السكانية والإرث التاريخي وإنما تنطلق من رؤية صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة بأن الإرادة هي أساس كل شيء⁽²¹⁾. فهي تفعل ذلك من منطلق أنها دولة أهل للثقة وتتحدى بالمسؤولية الأخلاقية تجاه الإنسانية وذات مصداقية شعبية ورسمية، لذلك لا تقف كثيراً أمام انتقادات وسلبية البعض ولا هي متسرعة في إثبات صحة موقفها، لأن مع مرور الزمن يثبت أن موقفها ورؤيتها كانت الأصح.

ومع أن دولة الإمارات تفضل العمل مع حلفائها وأشقائها وفق منطق توافق بين الجميع، لذلك تجد أنها تدخل في شراكات إقليمية ودولية من خلال بناء منظومات من الروابط القيمة والثقافية لأن المصلحة تخص الجميع ولكن حينما تجد التردد والارتباك من الحلفاء فإنها تتبنى رؤيتها الخاصة انطلاقاً من قناعة أن مصالح الدول تختلف وفقاً لمتغيرات وحسابات خاصة لكل دولة، وهي تعمل ذلك لقناعتين. الأولى: أنها تتبع من بداية تأسيسها ما يعرف بالتأثير بـ"القدوة الحسنة". والقناعة الثانية: أنه لا يوجد إرغام أحد على موقف معين. وفي الحالتين كان الآخرون يستنسخون تجربتها، وهنا يتضح تأثير القوة الناعمة. وحدث هذا حتى مع استضافة إكسبو 2020 -دبي فهناك في المنطقة من يسعى لتكرار استضافة إكسبو بعد الإمارات وهذا مؤشر مهم.

لو أردنا أن نلخص الرؤية الإماراتية للنظام الإقليمي والدولي ومساعدتها لإحداث التغيير فيه باستخدام نهجها الناعم سنجد أنها دولة غير صدامية وتحاول الابتعاد عن الأزمات من منطلق أن نهضتها التنموية تحتاج إلى استقرار كي تستمر بل تحاول أن تبعد نفسها عما يسبب لها المصاعب أو استتارة الآخرين لكنها في المقابل لا تتردد في مواجهة الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها أو تخرب عليها تجربتها، مثل مواجهة تنظيم الإخوان المسلمين الإرهابي ومن يدعمهم، وكذلك التهديد الاستراتيجي لإيران انطلاقاً من اليمن "الحوثيين".

وفيما يخص الإقليم بما فيه الدول العربية، لا تخفي الإمارات عدم رضاها على ما وصلت إليه الأوضاع في المنطقة من تدهور نتيجة للفراغات السياسية والأمنية، ما أدى إلى انفلات الوضع الداخلي وتغلغل دول إقليمية فيها؛ لذلك نجدها تسعى إلى تغيير الوضع الداخلي فيها من خلال دعم الدولة باعتبارها أساس العمل السياسي من أجل التغيير نحو الأفضل للشعوب والمنطقة.

ولا مجال لإنكار أن تأثير دولة الإمارات في مختلف المجالات الحياتية في العالم، بات يستحوذ على اهتمام كبير لدى دوائر صنع القرار في العالم. وأصبحت التجربة الإماراتية جاذبة ومرغوبة من دول إقليمية من خلال استنساخ أفكارها وتطبيقاتها الميدانية. فحجم الاستضافات للفعاليات الدولية، والتركيز على المشروعات الكبرى، مثل الطاقة النووية وغزو الفضاء، وتعظيم دورها الدولي يلفت اهتمام الجميع⁽²²⁾. ولعل الاستقرار والتنمية هما أكثر ما يسترعي الانتباه كونها دولة في إقليم ملتهب، وتستضيف أكثر من 200 جنسية. وهو ما يرسخها لمكانة إقليمية ودولية متميزة في بعض المواقف والقضايا خاصة الإرهاب والتطرف.

واستندت الإمارات في صعودها الإقليمي إلى التركيز على التنمية الداخلية الشاملة وابتكار نموذجها الخاص، من دون أن تستنسخ تجارب الآخرين. مع المحافظة، قدر الإمكان، على علاقات توازن مع الجميع في الإقليم والعالم. وجعلت هدفها في كل التحركات هو بناء نجاح اقتصادي وثقافي مستمر. لذا يوجد تنوع في مجال الاستثمارات الاقتصادية الداخلية والخارجية. مما ساهم في الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الجميع وهذا مهم في مرحلة الصعود وبناء القوة الناعمة.

وفق ذلك ينظر إلى دولة الإمارات على أنها فاعل رئيسي جديد في منطقة الشرق الأوسط، خاصة أن لديها رؤيتها الخاصة وتقديراتها المتوازنة والبرجماتية لكل القضايا والأزمات الدولية. مدعومة في ذلك بعلاقاتها

المتشعبة في العالم مع كل الدول والمنظمات الدولية. وعليه تدل المؤشرات إلى دور دولي كبير ينتظر الإمارات، فليها الإمكانيات غير التقليدية والعقلية المتفتحة والأدوات الجديدة في التأثير في تلك الملفات.

وبمراجعة مضامين القوة الناعمة الإماراتية، يمكن القول إن مقومات التأثير في الرأي العالمي والتعريفات النظرية التقليدية التي لا تزال تسيطر على هذا الجانب من العلوم الاجتماعية بحاجة إلى تعديل، فمفهوم ومصادر وأدوات القوة الشاملة تغيرت في عصرنا الحالي⁽²³⁾.

خامساً: تجربة مستدامة ومستمرة

هناك وجهتا نظر بشأن التجربة الإماراتية، تعتقد إحداهما أنها تجربة وقتية وغير مستدامة، كحال باقي الدول العربية المعتمدة على النفط كمصدر رئيسي للدخل. والذي يتوقع له أن ينضب بعد عام 2050 أو أن يتراجع الاحتياج العالمي له نتيجة لاكتشافات مصادر الطاقة والمتجددة. إلا أن وجهة النظر هذه تبدو أقرب إلى التمنيات من المنطق. فبالنظر إلى السنوات الخمسين الماضية، يلاحظ أن مؤشرات التنمية كانت في صعود. ما يعني أن الأمر مبني على رؤية واستراتيجية بعيدة المدى. كما أنه في كل أزمات الطاقة وغيرها من الأزمات الاقتصادية العالمية بقيت الإمارات تحقق نجاحات وتتمتع باستقرار اقتصادي واجتماعي. ومع وجود رؤية خمسينية قادمة، المتوقع أن تستمر الإمارات في تحقيق مستويات متقدمة في التنمية.

أما وجهة النظر الثانية، فترى أن التجربة الإماراتية التنموية تحاول الاستفادة من المتغيرات العالمية وتكيف معها وفق نظرية استباقية. سواءً كان تطور تلك المتغيرات في مفهوم القوة، أو في مفهوم فكرة المواطنة. من خلال إحداث تغييرات مواكبة لمفهوم العولة ومناسبة في الوقت نفسه لتركيبها الجيوسياسية والديموغرافية. وعكست هذه التجربة الإدراك العميق بأن القوة الناعمة هي الأكثر فعالية حالياً في العالم. وأن المواطنة لم تعد بتلك المعايير التقليدية المتعارف عليها، لذا نجحت الإمارات في خلق بيئة مناسبة لاستقطاب الكفاءات العالمية إليها لتتحول الدولة الإماراتية إلى وطن مُعولم يحتضن مواطن عالمي، سواء كانت جنسيته إماراتية أو غير ذلك⁽²⁴⁾.

وتتمتع دولة الإمارات بمكانة كبيرة الأهمية في حسابات العديد من دول العالم. كونها تمثل قصة مختلفة من التنمية الشاملة في منطقة الشرق الأوسط، جعلت منها نموذجاً لنسخ أفكارها في مجال التعايش المشترك وقيادة للتغير نحو الأفضل في منطقة عرفت تاريخياً بأنها مصدر ومصدر للتطرف وبيئة حاضنة للتخلف والتعصب. وتبدو المنظمات والهيئات الدولية الآن على أتم الاستعداد للدفع بدولة الإمارات لتنظيم الفعاليات الدولية الضخمة، من أجل بث الروح الإيجابية لتخفيف التوتر والمساعدة على تقليل الاحتقان السياسي. ليس فقط ضد الآخر ولكن حتى بين أبناء الدولة الواحدة في هذه المنطقة وبما يؤثر ذلك على الفهم المشترك عالمياً.

ومما لا شك فيه، فإن قصة العلاقة بين دولة الإمارات والقوة الناعمة لم تكن وليدة اللحظة، بل إنها سبقت نظرية جوزيف ناي التي ظهرت في التسعينيات من القرن الماضي. فقد مارستها الإمارات بدقة من خلال دبلوماسية المساعدات الإنسانية. حتى أنها عرفت بمساعدات "الخمس نجوم" خلال حرب البلقان. ويمكن العثور على بدايات استخدام الإمارات لأدوات القوة الناعمة في الخطاب السياسي لمؤسس الاتحاد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، إذ كان يعلن دائماً أن الإمارات "مكان يسع الجميع للعيش فيه"⁽²⁵⁾.

وعليه فإن التجربة الإماراتية حالها كحال باقي دول العالم، مرت بمراحل مختلفة إلى أن استقرت في رؤيتها الحالية لمفهوم القوة الناعمة. ويمكن القول إنها مرت بثلاث مراحل، لكل منها سماتها التي أحدثت نقلة نوعية في دورها الدولي. بدأت هذه المراحل مع تأسيس الدولة في 1971، وحتى عام 2004 حين توفي مؤسس الاتحاد الشيخ زايد بن سلطان، كان التركيز على المساعدات للدول العربية والأفريقية وبعض الدول الآسيوية.

وأدى نزول الأزمات والكوارث بأوروبا الشرقية إلى توسعة دور الإمارات الدبلوماسية، فلعبت أدواراً وقامت بوساطات بين المتخاصمين الجدد في أوروبا. ثم دخلت الدولة مجال المشروعات الوطنية الضخمة، خاصة بعد فترة ما يسمى بـ"الربيع العربي"، التي كان من بين أسبابها إحباط الشباب العربي من الوضع الاقتصادي. فاستبقت الإمارات الموقف وأخذت على عاتقها تغيير الصورة النمطية العربية، وتحولت في فترة بسيطة من دولة تقليدية في منافسة الآخرين إلى إبهار الرأي العام العالمي وصارت لاعباً أساسياً في النظام الدولي⁽²⁶⁾.

وبالرغم من ارتكاز استراتيجية الإمارات للقوة الناعمة على مجموعة من الأفعال الإنسانية، مثل المساعدات واستضافة الجاليات والعيش بسلام وممارسة ثقافتهم بكل حرية، فإن خلال الفترة الماضية وربما بعد دخول عالم الطاقة النظيفة من خلال البرنامج النووي السلمي وكذلك غزو الفضاء واستضافة هذه المهرجانات العالمية الضخمة، تبلور نوع جديد من القوة الإماراتية تعدت التأثير على الشعوب والرأي العام العالمي إلى متخذي وصانعي القرار في العالم⁽²⁷⁾. ما دفع دولاً كبرى مثل الصين والولايات المتحدة إلى عقد شراكات استراتيجية مع دولة الإمارات، باعتبارها حلقة وصل لاستراتيجيتها العالمية. كما بادرت دول إقليمية إلى استنساخ التجربة الإماراتية التي باتت تتنافس مع أرقى التجارب التنموية في العالم مثل التجربة السنغافورية.

تتراوح أهداف استضافة هذه الفعاليات الكبرى من دولة إلى أخرى، وتركز أغلبها على تحسين صورتها أمام الرأي العام العالمي، خاصة تلك الدول في منطقة الشرق الأوسط، فيما تهتم دول أخرى بإعادة إحياء مدن تاريخية معينة كما في الغرب، إلا أن أهداف دولة الإمارات تختلف تماماً من ناحيتين؛ أولاً أنها ترسل للعالم إشارات بقدرة هذه البقعة من العالم أولاً على إخراج أفكار إنسانية، وثانياً استضافة فعاليات ضخمة لا تقل قيمتها عن تلك التي يتباهى بها الغرب. والناحية الثانية هي إحياء الأمل لدى الإنسان العربي الذي أرهقته الحروب والنزاعات وجعلته يفكر في الهجرة بدلاً من البقاء في منطقتة للاستثمار الفكري والاقتصادي فيها⁽²⁸⁾.

أما في مرحلة ما بعد إكسبو 2020 دبي، فإن آليات القوة الناعمة الإماراتية ستستند على متغير جديد في التأثير عبر الإبهار في تنظيم المهرجانات الدولية الضخمة. ونعني بالمهرجانات الضخمة كل الفعاليات الرسمية أو الشعبية، مثل بطولات رياضية عالمية لأن البنية الأساسية باتت متوفرة بكل مواصفاتها السمعة والابهار والقبول والموقع الجغرافي. فالاستعداد الخاصة باستضافة إكسبو بدءاً من المفاوضات مع الدول لاستضافتها مروراً بالبنية الأساسية، أتاح لدولة الإمارات آليات جديدة تستعمل لامتلاك قوة ناعمة متعاظمة والتحكم بالتفاعلات الإقليمية والدولية. وبالتالي إحداث تغيير وعمل فارق مع المتنافسين معها، كونها دولة مختلفة عن بقية دول منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا بفضل مكانتها وتركيبها الديموغرافية وبالتالي امتلاكها مساحة دبلوماسية والحركة والتواصل والتأثير بشكل مختلف مع الآخرين⁽²⁹⁾.

خاتمة:

يتوج إكسبو عدداً من الأحداث الأخرى التي تم تنظيمها في الإمارات خلال الفترة الماضية. وقد اجتمعت معاً لفتح الطريق أمام رسم خريطة تنموية اقتصادية جديدة في الإمارات تعتمد على الأفكار الإبداعية والأعمال النوعية والمجالات الجديدة والمستحدثة مثل الذكاء الاصطناعي. وقد ثبتت جدوى الأساليب الجديدة في ممارسة العمل وتنظيم الأنشطة بغض النظر عن أهمية الوجود الفعلي. خاصة بعد نجاح تجربة العمل عن بعد خلال أزمة كورونا (كوفيد 19-). والتي أعطت الإمارات زخماً إعلامياً جعلها إحدى الدول القليلة في العالم التي أدارت الأزمة واستفادت منها، حيث طرحت مجموعة أفكار وأسس لنظام اقتصادي عالمي جديد، قائم على الحياة الافتراضية والقدرة على العمل من دون الوجود في مقرات العمل التي باتت تعتبر حالياً منهجية قديمة. بل إنها تضعف قوة الدولة أحياناً أكثر مما تعطيها مرونة. فالعمل حالياً يحتاج إلى وضع سياسات خاصة تتناسب ومرحلة ما بعد كورونا.

وأخيراً، جاء احتلال الإمارات المركز السابع عشر على مستوى العالم في ”مؤشر القوة الناعمة 2021“⁽³⁰⁾ ليؤكد أن الصعود الإماراتي في هذا المجال أمر واقع بالدليل العملي والقياسات وشهادات المنظمات الدولية المتخصصة. فضلاً عن أن هذا المركز المتميز ليس استثناء بالنسبة للدولة، فقد احتلت في العام الماضي المركز الثامن عشر، في استمرار للتطور نحو الأفضل في كل المجالات ووفق كل المؤشرات خلال السنوات الماضية. أخذاً في الاعتبار أن هذا المؤشر العالمي المتعلق بالقوة الناعمة للدول، إضافة إلى اعتماده على معايير موضوعية وشروط متشددة في ترتيب قوة الدول الناعمة، فهو يتسم أيضاً بالمرونة والتطور وفقاً للمستجدات، لذا أضاف إلى مكوناته هذا العام معياراً يتعلق بمدى استجابة الدول إلى جائحة (كوفيد-19)، فضلاً عن المعايير الأخرى المتصلة بالنفوذ والسمعة والمعرفة، وغيرها من مكونات القوة الناعمة.

وهكذا تثبت دولة الإمارات العربية المتحدة يوماً بعد يوم، أن استضافتها الفعاليات العالمية الكبيرة ليست طموحاً مؤقتاً. وأن هذا التوجه ليس مقصوراً على الجانب الاحتفالي والبروتوكولي لتلك الفعاليات، وإنما هو جزء من استراتيجية متكاملة تستخدم فيها الدولة كل ما يتاح لها حالياً ومستقبلاً من أدوات القوة الناعمة ومصادرها، وفق رؤية شاملة لبناء المستقبل. ليس مستقبلاً للدولة وحدها من منظور وطني فردي، وإنما هو مستقبل جماعي للإنسانية، بمنظور تعايشي يعتبر الدولة وشعبها جزءاً من العالم، ويعتبر العالم شريكاً مع الدولة في بناء مستقبل واحد لشعب عالمي واحد.

- 1- - رحلة تواصل العقول وصنع المستقبل تنطلق من إكسبو 2020، جريدة الاتحاد الإماراتية، 1 أكتوبر 2021، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/3qIVpMy>
- 2- - محمد رمضان، اختيار الإمارات لاستضافة COP 28 تقدير عالمي وثقة دولية متزايدة، 13.24، ae، نوفمبر 2021، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/3oDTnom>
- 3- - أماني ألبرت، الجمهورية الجديدة وصناعة العلامة الوطنية، الأهرام المصرية، 21 أغسطس 2021، موجود على الرابط التالي <https://bit.ly/3CoUfIB>
- 4- - Alia Yunis, "Film as Nation Building: The UAE Goes into the Movie Business", **CINEG Cinema Journal**, Vol.3 (2), 2014, University of Pittsburgh, pp 50 - 71.
- 5- - You Kyung Kim, Sung Wook Shim, Keith Dinnie "Nation Branding: Issues, Insights and Impacts", Corporate Reputation Review, Vol. 16(1), 2013, pp. 34-47.
- 6- - جمال عبد الجواد، القوة الناعمة.. مفهوم مهم ولكنه مراوغ، صحيفة "البيان" الإماراتية، مايو 2019، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/3c0wkON>
- 7- - هالة الحفناوي، مكاسب مؤكدة وأثار جانبية متوقعة، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات، أبو ظبي، أكتوبر 2014، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/3odUg6P>
- 8- - وجهة نظر هذه تسلمها لدى الشعوب الأخرى التي لم تزر دولة الإمارات، آخرها خلال فعاليات مؤتمر عقد في العاصمة الأمريكية واشنطن في مركز دراسات أتلانتيك بالتشارك مع مركز "تريندز".
- 9- - نبيل عبد الفتاح، الدور الثقافي المصري في عالم مختلف، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 9 يونيو 2021، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/31PFxXy>
- 10- - محمد الصوافي، الإمارات ورحلة اكتشاف "الزهرة"، صحيفة "البيان" الإماراتية، 15 أكتوبر 2021، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/3b-VX4A3>
- 11- - العبد الجليل، كامل: دور الثقافة في دعم التنمية والسلام والتعايش الإنساني، الطبعة الأولى: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2020، ص 22-33.
- 12- - روسيا تبهر العالم بافتتاح أولمبياد "سوتشي 2014"، سي إن إن عربي، 7 فبراير 2014، موجود على الرابط التالي: <https://cnn.it/3oggIBN>
- 13- - جمال النويري، روسيا تبهر العالم، صحيفة "الخليج" الإماراتية، 14 يوليو 2018، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/3ohWwdf>
- 14- - محمد الصوافي، مكاسب استراتيجية.. كيف يعزز "إكسبو دبي" القوة الناعمة للإمارات، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 5 أكتوبر 2021، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/3D99d0w>
- 15- - المرجع السابق
- 16- - دشر، مناحي. مشروح الشرق الأوسط الكبير (قراءة في الفكر السياسي الأمريكي المعاصر)، مجلة أهل البيت، السنة -12 العدد 19، جامعة أهل البيت، مارس 2016، ص 578 - 580
- 17- - Jonathan Grix & Donna Lee "Soft Power, Sports Mega-Events and Emerging States: The Lure of the Politics of Attraction", **Global Society**, vol.13, 2013, p 526.
- 18- - الكتبي، سالم: فخر العروبة (صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان القدوة والإنسان)، الطبعة الأولى: Maroc Media Communication، المغرب، 2017، ص 37

- 19- - أخبار الساعة، ثقة دولية متزايدة بالاقتصاد الإماراتي، **العين الإخبارية**، 5 يوليو 2017، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/3qqUWsv>
- 20- - سالم الكنتي، مرجع سابق.
- 21- - محمد بن زايد: الدول ليست بتعداد سكانها بل بإرادة شعوبها والتاريخ يشهد، **جريدة "الاتحاد" الإماراتية**، 3 مارس 2021، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/3km7ZYc>
- 22- - محمد الصوافي، الإمارات ورحلة اكتشاف المريخ، مرجع سابق.
- 23- - أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، **مركز الجزيرة للدراسات**، 2011، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/32RHt3w>
- 24- - علي الجرباوي، رؤية الصين لدورها العالمي، مجلة **"المستقبل العربي"**، العدد 509، يوليو 2021، مركز دراسات الوحدة العربية.
- 25- - حول تفصيلات تبني الإمارات أدوات القوة الناعمة منذ تأسيسها، وكيف طبقت بسياساتها تعريف ومفهوم القوة الناعمة قبل أن يتحدث عنها جوزيف ناي في إطار نظري عام، انظر:
- Adam Krzymowski, "The European Union and the United Arab Emirates as civilian and soft powers engaged in Sustainable Development Goals", **Journal of International Studies**, Vol.13(3), 2020, **Foundation of International Studies**, PP 45 – 47.
- 26- - محمد الصوافي، مكاسب استراتيجية كيف يعزز "إكسيو دبي" القوة الناعمة للإمارات، **مرجع سابق**.
- 27- - هالة الحفاوي، مرجع سابق.
- 28- - سعد محيو، فرصة انتقالية لنهضة عربية جديدة، **صحيفة "الخليج" الإماراتية**، 31 أغسطس 2010، موجود على الرابط التالي: <https://bit.ly/31N2ETs>
- 29- - محمد الصوافي، مكاسب استراتيجية كيف يعزز "إكسيو دبي" القوة الناعمة للإمارات، **مرجع سابق**.
- 30- Global Soft Power Index 2021, **Brand Finance Network**, P 88, accessible at: <https://bit.ly/3GfIHnP>.

عن المستقبل:

"المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة"، هو مركز تفكير Think Tank مستقل، تأسس في 2014/4/4، في أبوظبي، بدولة الإمارات العربية المتحدة، للمساهمة في تعميق الحوار العام، ومساندة صنع القرار، ودعم البحث العلمي، فيما يتعلق باتجاهات المستقبل، التي أصبحت تمثل مشكلة حقيقية بالمنطقة، في ظل حالة عدم الاستقرار وعدم القدرة على التنبؤ خلال المرحلة الحالية، بهدف المساهمة في تجنب "صددمات المستقبل" قدر الإمكان.

ويهتم المركز بالاتجاهات التي يمكن أن تساهم في تشكيل المستقبل، على المدى القصير، خاصة الأفكار غير التقليدية والظواهر "تحت التشكيل"، مع التطبيق على منطقة الخليج، من خلال رصد وتحليل الاحتمالات الممكنة، للتفاعلات القائمة والتيارات القادمة، وتقدير البدائل المتصورة للتعامل معها، باستخدام مناهج التفكير المتقدمة، عبر أنشطة علمية تجمع بين الأكاديميين والممارسين، والشخصيات العامة، من داخل الإمارات وخارجها.

أنشطة المركز:

مجلة اتجاهات الأحداث: دورية أكاديمية، تصدر كل شهرين، تهتم بتحليل اتجاهات المستقبل على المدى القصير، بما يتضمنه من تيارات وتطورات، متعددة الأبعاد، وذات تأثيرات استراتيجية، وذلك في مجالات اهتمام برامج المركز.

تقديرات المستقبل: تقديرات يومية ترصد وتحلل وتقييم الأحداث والتحويلات الإقليمية على المدى القصير التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط والعالم وتداعياتها على منطقة الخليج العربي لدعم عملية صنع القرار.

دراسات المستقبل: سلسلة دراسات أكاديمية تصدر شهرياً عن «المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة»، وتركز كل دراسة على قضية واحدة تمثل ظاهرة صاعدة على المستوى الاستراتيجي تتسم بالتعقيد وتعدد الأبعاد، وتهيمن على الجدل العام في الشرق الأوسط والعالم.

أوراق أكاديمية: أوراق علمية متخصصة، تتضمن أحد المفاهيم المتقدمة، أو الاتجاهات النظرية الراهنة، وتطبيقاتها المختلفة، سواء في العالم أو في منطقة الشرق الأوسط.

بوابة المستقبل: موقع إلكتروني أكاديمي، يقوم بنشر تحليلات يومية، باللغتين العربية والإنجليزية، حول أهم الأحداث والتطورات الجارية في المنطقة والعالم، ويغطي الموقع إنتاج المركز المطبوع وأنشطته المختلفة، من لقاءات عامة وحلقات نقاشية، ويقدم خدمات علمية تتعلق بعروض الكتب والدراسات، وقواعد البيانات والخرائط السياسية.

تقرير المستقبل: نشرة يومية تُرسل على مدار 5 أيام في الأسبوع، عبر البريد الإلكتروني إلى قوائم المشتركين، حيث تُسلط الضوء على كل إصدارات وأنشطة مركز "المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة".

فعاليات المستقبل: ينظم مركز "المستقبل" عدة فعاليات مثل (اللقاءات العامة - حلقات النقاش - الدورات التدريبية)

